تفريغ محاضرة

العزيز الأعز

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

١٤٤٢/١/١٢هـ

من نحن؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جميع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً الى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

العزيز الأعز

الحمد لله الذي أهدانا من حسنِ أسمائه ، ووهبنا الطمأنينة بمعرفة صفاته ، ورزقنا رسولا أوحى له كلماته ، بخلقٍ كريم ربى صحابته وزوجاته عليه الصلاة والسلام .

أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فما علمنا منها إلا كقطرة من بحر ، ومن بين هذه الأسماء والصفات نجد اسم العزيز الذي يطرق باب قلبِ تالِ القرآن **92 مرة** في ختام بعض الآيات ليذكر بأمر مهم يعلقه بالله العزيز ، فما معنى العزيز ؟

- **على ضفاف العزيز :**

على هذه الضفة تهدينا الأمواج بخفة معنى اسم العزيز فما هو معناه ؟

العزيز : هو القوي الذي يغلب ولا يُغلب .

وهذا مطلق العزة ،ومطلق القوة ، ففيه معنى القهر و القوة المعلنة ، فالله عز وجل المنيع الذي يمتنع عن ما يريد ولا يستطيع أحد أن يمنعه عن ما يريد ، ولا يوجد أحد يضاهي الله عز وجل بهذه العزة ولا بهذه القوة ، قال تعالى : **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [1]

وتلمس أرواحنا موجة تحكي أحد مواقف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- [2]حينما جاء إلى الشام وفتح بيت المقدس استدعاه أبو عبيدة الجراح ليستلم مفاتيح المسجد الأقصى ويشهد على هذا جمع من القساوسة وجمع من جنود المسلمين ،

[1] سورة الشورى آية 11 .
[2] الحاكم كتاب المستدرك .

فكانوا ينتظرون مجيء عمر -رضي الله عنه- بأعين الشغف واللهفة لرؤية هذا الصحابي الجليل ، وفي أثناء سير الركب اعترضتهم مخاضة من طين ، فنزل عمر -رضي الله عنه- من على راحلته ونزع خفيه وأمسك بخطام راحلته وعليها غلامه ، فخاض المخاضة وأصابه من الطين ما أصابه ، فجاء إليه أبو عبيدة بن الجراح[3] وقال له : **(يا أمير المؤمنين قد فعلت فعلا عظيما عند أهل الأرض نزعت خفيك وقدمت راحلتك وخضت المخاضة)** أي : لو أنك جددت ملابسك لتدخل في مراسم تسليم المفاتيح فهم ينتظرونك . **(فصك عمر بيده في صدر أبي عبيده . وقال : أواه يا عبيدة لو غيرك يقولها ، أنتم كنتم أقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله تعالى)**.

فارتدت هذه المقولة صهوة الرياح وحملتها إلى الأسماع فمن أين استنبط عمر -رضي الله عنه- هذه الكلمات ؟ يقول الله عز وجل في كتابه الكريم **{ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا }**[4]

- **<u>كيف تكون هذه العزة ؟</u>**

في الحديث القدسي قال الله عز وجل : **(يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا)**

<u>أي : لو كل من على الأرض من إنس وجن ومن أحياء وأموات ومن لم يولد بعد ، لو كان جميع هؤلاء على أتقى قلب رجل واحد منهم ما زاد من ملك الله شيء.</u>

(و يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص من ملكي شيئا) <u>أي : لو كان جميع من على الأرض على أشر و أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص من ملكه شيء .</u>

فله العزة والغلبة والقهر وله عزة القدرة والقوة ، فهو الشديد في قوته الذي ذلت لعزته الصعاب ولانت لقوته الشدائد الصلاب.

[3] وهو قائد جيش المسلمين الذين فتحوا القدس .
[4] سورة فاطر آية 10.

فالله يُغير ولا يتغير

وتأتي موجة ثانية تؤكد بأن الله سبحانه وتعالى يُغير ولا يتغير ، وتحمل لنا ما قاله مالك بن دينار - رضي الله عنه- فيقول **(مررت يوما بقصر تضرب به الدفوف وتغني به الجواري ، فحفظت من نشيدهم :**

ألا يا دار لا يدخلك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار تأوي كل ضيف إذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت بعد حينٍ فإذا ذلك القصر خراب وإذا على بابه عجوز فسألتها : أين أهل الدار ؟ فقالت العجوز : يا عبد الله إن الله يُغير ولا يتغير والموت غالبٌ على كل مخلوق ، وقد والله دخلها الحزن وذهب بأهلها الزمان)

وعلى غرار هذه الموجة تسابقها أختها لتؤكد بأن الله يغير ولا يتغير ، ويشهد على ذلك قصر اشبيليا في الأندلس الذي حضن المعتمد بن عباد فعاش ملكا فيها ، يغشاه وأهله نعيمٌ وترفٌ دنيوي ، وفي يوم من أيامهم تأملنا زوجة المعتمد وبناته مشهدا في الضفة الأخرى من القصر ، حيث كانت الجواري تمشين في الطريق حافيات الأقدام وتحملن فوق رؤوسهن قِرب السمن ، فعرضت لهم أرض مخاضة [5]فكانت الجواري إذا وصلن المخاضة كشفن عن أقدامهن وشمرن ثيابهن فتتلطخ هذه الأقدام بالطين .

فأعجب المشهد زوجة المعتمد وبناته وأحببن تجربة هذا الشعور وأردن اللهو بالطين ليُشبعن هذه الرغبة والشهوة ، فقلن : **وددنا لو أننا تلطخنا بالطين ،** فما كان من المعتمد إلا أن أمر بساحة القصر ففرشت بالعنبر والعود الخالص ؛لأن أقدامهن لم تعتد أن تطأ الطين ، ثم رش عليها بقرب من ماء الورد وخلطت مع العود والعنبر إلى أن صار لونها كلون الطين ، ثم أمر بزوجته وبناته ليخضن فيه إلى أن أشبعت تلك الشهوة في نفوسهن.

[5] أرض من طين .

انتهت سكرة الشهوة ولم ينتهي تعاقب الزمن حتى دارت الأيام وسقطت اشبيليا و صار المعتمد وعائلته جميعا مأسورين لاجئين من أرض الأندلس إلى المغرب .... مرت عليه الشهور ولم ير طيف بناته وزوجته ، صارع أيام فقدهن في قعر سجن أغمات وهو يعلم بأن حالهن يشحذ الرحمة ، ولا يعرف أي سقف يأوين إليه ، وفي يوم العيد يحمل ثقل خطوهم إلى المعتمد في سجن أغمات فرأى تلك الأجساد التي تحمل الصوت نفسه وقسمات الوجه نفسها لكنها ارتدت ثياب رثة ممزقة وأيادي صلبة وأقدام ارتدت من قسوة الأيام الأحجار ، فعلم أن بناته يعملن كخدم في البيوت ، فتمر عليهم الأيام ولم يذقن طعاما يحي أجسادهن الجائعة ، فتصدع لذلك قلب المعتمد ، فأنشد قائلا :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فجاءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيراتٍ مكاسيرا

يطأن في الترب والأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

من بات بعدك في ملك يسرّ به فإنما بات بالأحلام مغرورا

والشاهد من هذه الحكاية **(من بات بعدك في ملك يسر به فإنما بات بالأحلام مغرورا)** فيخاطب المعتمد نفسه وكأنه تلقى درسه من هذه الحياة بأنها لا تستمر لأحد **(فالله يُغير ولا يتغير)** ، يقول الله عز وجل في كتابه ، موضحًا الفرق بين من يعيش وهو يستنير بنور الله عز وجل وبين من يعيش وقد أعماه طغيان الترف ، فماذا يقول عز وجل ؟

قال تعالى : **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[6] }**

[6] سورة آل عمران آية 26.

فالعزة والذلة بيد الله سبحانه وتعالى ، فلا مال ولا منصب ولا ملك ولا نسب ولا حسب يمنحك هذه العزة ، فالعزة لله يؤتيها من يشاء وينزعها ممن يشاء .

والذليل من ذل أمام نفسه ومعاصيه فغلبته ليصبح كالدمى تحركها الشهوات والذنوب ويتخبط في هذا الذل وينتقل من ذل إلى ذل ، فهو لا يستطيع إيقاف هذه النفس عن ارتكاب المعاصي فخضع لها حتى أصبح ذليلها .

أما المؤمن فقد أمره الله بالاستعلاء قال الله تعالى : **{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**[7]**}** ، فالمؤمن ليس بأرض ذلٍ ولا بأرض هوان ، نزلت هذه الآية تواسي أرواح المؤمنين من بعد هزيمة أحد ، رغم قوة الجيش وكثرته واستعداده هزم !

فلماذا؟ **{ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**[8] **}**

وليعلم ! **{وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**[9]**}** فكانت هذه الهزيمة ليس بغرض الذل للمؤمنين بل كانت كالدرس ، فهو درس للأمة بأكملها بأن الأيام دول ولن تطول تلك الشدائد ما دامت أرواحكم تعتزُّ بالله عز وجل .

وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- من دعائه اليومي عند خروجه : **(اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أضَل ، أو أزِل أو أزَل ، أو أظلِم أو أظلَم ، أو أجهِل أو يُجهل علي)**[10]

فهو لا يرضى أن يكون سبب لذلة أحد ولا تسلط علي يا ربي من يذلني ، فأهدانا عليه الصلاة والسلام درس في الرُّقي المحكم من خلال الدعاء .

وتتعاقب أمواج هذه الضفاف لتبين لنا الفرق بين العزة والكبر .

[7] سورة آل عمران 139.
[8] سورة آل عمران 141.
[9] سورة آل عمران 140.
[10] رواه أبو داود، وصححه الألباني.

فالعزة : أن تكون عزيزًا مترفعًا بالحق الذي معك .

الكبر : أن تكون مترفعًا بالباطل مترفعًا بمالك مترفعًا بنسبك مترفعًا بوظيفتك مترفعًا بمجدك وشهرتك مترفعًا بالباطل .

ثم تعقبها موجة تخبرنا عن أربعين سنة !

- **أربعون سنة !**

تطرق هذه الموجة لتخبرنا ما حصل لبني إسرائيل بعد أن كانوا يعانون من ذل فرعون واستعباده لهم ، فجاء الله سبحانه وتعالى مكلمًا موسى -عليه السلام- فيعرف نفسه عليه فيقول سبحانه وتعالى : **{يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [11]}**

فلا ينبغي لرسول العزيز إلا أن يكون عزيزًا ، فجاء يبشر موسى ويأمره بأخذ قومه ويعزهم بالنور والإسلام و عبادة ربِ الأنام .

بنو إسرائيل قد ذاقوا من الذل ما ذاقوا فيقول جل وعلا: **{ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ [12]}**

حتى اعتادوا هذا الذل والهوان ، وحتى بعدما أنجاهم الله سبحانه من عذاب فرعون وأراهم غرق فرعون وجسده الملقى جامدا ذليلا ، وأمرهم بأن يدخلوا البلد المقدسة رضخوا وذلوا أنفسهم وقوتهم فقالوا يخاطبون موسى عليه السلام : **{ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ.[13]}**

[11] سورة النمل آية 9.
[12] سوة القصص آية 4.
[13] سورة المائدة آية 22.

فكيف رباهم الله سبحانه وتعالى وأعدهم ليدخلوا هذه الأرض المقدسة ؟

قال تعالى : **{ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ**[14]**{**

يتيهون في الأرض أربعين سنة وأي تيه عاشوه ، حتى مات ذاك الجيل بأكمله وأتى جيل الصحراء الجديد الذي لم يعتد على الذل والهوان بل على شظف العيش وأصحاب القرار فعاشوا أحرارًا ولم يعتادوا أن يكونوا عبيدًا ولم يذوقوا الذل والهوان ، فدخلوا هذه الأرض المقدسة .

ونعيد كلمات عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي سطرت بماء الذهب : **(نحن قوم أعزنا الله بالإسلام)** فلم تقم عزة العرب بالإمبراطوريات أو المال أو الجاه **بل بالله عز وجل .**

- **أنا بالله أعز .**

تفصح هذه الموجة على لسان المدائني ، فتحكي حدثا حمله التاريخ بعنوان العزة فقال المدائني :

أن رجلا من أهل اليمن قدم إلى الحجاج يشكو إليه ظلم أخيه محمد بن يوسف ومعلوم أن الناس تخاف من الحجاج في العراق ، فقدم صاحب اليمن الشاكي وإذا بالحجاج منتصبا يخطب بالناس ، فتقدم صاحب الشكوى إليه فشكا إليه أخاه فاستشاط الحجاج غضبا ، كيف تقاطعني وتشكو إلي أخي ، فأمر حراسه بسجنه إلى أن ينتهي من خطبته ، فلما عاد الحجاج إلى قصره أمر به ، فأحضره الحراس ، فقال له الحجاج والغضب يجتاح عينيه : ما جرأك على أن ترفع إلي أخي؟ فرفع الرجل رأسه وقال له والعزة تغمره : أنا بالله أعز من أخيك بك ، فخلا الحجاج سبيله.

فكلما عظم اسم العزيز في قلب المسلم وعمل على تحقيقه في حياته كان نيله للعزة أعظم .

[14] سورة المائدة آية 26.

قال الله عز وجل : **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ[15] }**

وحين نتشرب هذه الآية ونتمعن في معانيها نعلم أن أعز الناس هم الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ولذلك من اعتز بغير الله عز وجل فقد اعتز بسلطان زائل ولم يعتز بعزيز .

- **خروا لله ساجدين.**

تحملنا هذه الموجة إلى زمن موسى عليه السلام وإلى مصر وفي يوم الزينة بالتحديد ، اليوم الذي أعد فرعون وجمع فيه كبار السحرة تحت قدميه يأمرهم بمواجهةِ موسى عليه السلام ، فجمعوا حبالهم وعصيهم وشياطينهم لينالوا أجر ما وعدهم فرعون بأن يكونوا من المقربين ، فلما ألقوها و قرنوا أفعالهم بقول الذل : **(بعزة فرعون إنا لنحنُ الغالبون)**

(وجاءوا بسحر عظيم) فهم أظهروا أجود وأبرع أنواع السحر ظنا منهم بأن يغلبوا موسى ، فكانت نفوسهم تطير من الفرح بما سحروا به أعين الناس ، حتى أوحى الله لموسى بأن يلقي عصاه فتلقف ما صنعوا ، فانتهى شعور الانتصار في نفوس السحرة ، وتجتاح ظلمات صدورهم نور الله واليقين بأن ما جاء به موسى هو الحق لتخر جباههم معلنين إيمانهم برب العالمين ، رب موسى وهارون .

فتبدلت تلك النفوس التي كانت تتذلل تحت أقدام فرعون يطلبون منه الأجر ، إلى نفوس سكنتها العزة بالله ، فغضب فرعون منهم وجاء بامتحان يؤكد صدق ما قالوا ، **" قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51) "** فأيقنت نفوسهم بأن فرعون لا يملك إلا الذل ، وأما العزة فلله .

[15] سورة المنافقون آية 8.

إذًا كل موطن تقرأ فيه اسم العزيز عليك أن تخضع له تتأمله جيدا ماذا جاء قبله ، وما الحكمة منه ، وعندما يقرن اسم العزيز بالحكيم ما المقصد المرسل في قلب الآية ، تأمل هنا بعض هذه المواطن وتأملها جيدًا :

الموطن الأول :

يقول الله عز وجل : **{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [16]{**

فالمقام هنا مقام تعليم ، لماذا قرن بالعزيز الحكيم ؟ **يقول المفسرون :** لأنه لا ينال العلم إلا بالذل لله فلا ينال العلم متكبر ولا عاجز ، فكلما كنت إنسان متقي مستذل لله عز وجل كلما كان العلم منك أقرب .

الموطن الثاني :

يقول الله عز وجل : **{ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[17] {**

أي : إن أخطأتم وأنتم تعلمون الصواب والخطأ و جاءتكم الأدلة واضحة ومبينة .

يقول المفسرون : ما زلّوا إلا أنهم ما ذلوا . أي أنهم ما غلطوا إلا أنهم لم يستعينوا بالله ؛لأن الكبر والعجب تغلل في نفوسهم وظنوا ظنا كاذبا أنهم لا يحتاجون لله عز وجل وذلوا استزلهم الشيطان في ذلك و رأوا بأنفسهم مقامًا أعلى من أنهم يخضعون لله عز وجل ؛ فأعرض الله عنهم .

[16] سورة البقرة آية 129.
[17] سورة البقرة آية 209.

الموطن الثالث :

قال الله عز وجل : **{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ[18] إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [19]{**

ولو شاء الله لأعنتكم ، لأنك لو كنت ذليلا خاضعًا له شدد الله عليك وصار عليك الحرج ، فهو العزيز الذي يجعل لمن يتقيه مخرجًا ذا سعة ويرزقه من حيث لا يحتسب ، كأنما أبواب السماء كلها تفتح له من كل صوب يرزق هذا لمن اتقى الله ، في المقابل من لم يتذلل لله ينزل عليه العنت والضيق والحرج .

فاحذر أن تأخذك العزة بالإثم ، وتطغى عليك ذرة من كبر .

وتلوح لنا أمواجٌ لتخبرنا أننا فقراء إلى الله !

وإني فقيرٌ إليك !

»لا يَدخُلُ الجنَّةَ رَجُلٌ في قَلبِه مِثقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبرٍ» رواه مسلم.

فلا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فأعلن فقرك إلى الله وامزج دعاءك وقل في ندائك : **يا رب عبيدك عند بابك فقيرك عند بابك ، المحتاج عند بابك** .

فلا تدعو الله عز وجل وأنت ترفع نفسك وإنما تذلل له عله أن يعفو عنك ، واعلم بأن العزيز رحيم بعباده.

[18] معنى أعنتكم : من الشدة و الضيق والحرج.
[19] سورة البقرة آية 220.

ونرى أن الرحيم اقترن باسم العزيز في مواطن كثيرة ونقف نتأمل أمواجها في سورة الشعراء ، حيث تكررت فيها تسع مرات، فكانت تأتي بعد ذكر قصص الأمم السابقة مع أنبيائهم وكيف أهلكهم الله العزيز و انجى أنبياءه ومن آمن معهم .

فيقول عز وجل : **{ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ *وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** [20]**{**

وبعد كل قصة تكرر بأسلوب مختلف وخاتمة واحدة **(وإن ربك لهو العزيز الرحيم)**

قال المفسرون في اقتران العزيز بالرحيم : اقتران الاسمين لاستعراض الله عز وجل هلاك الأمم السابقة بعد طغيانهم وتكذيبهم للأنبياء ؛ لأن الله عز وجل قد ظهر عزه عليهم وقهرهم ، وذكر رحمته لأن الله رحم بها أنبياءه والذين آمنوا معهم .**(فنجيناه ومن معه)**

ولذلك جاءت ثمان مرات من هذه التسعة في سورة الشعراء في معرض إهلاك الله عز وجل للأقوام السابقة ، وفي المرة التاسعة جاءت بشكل مختلف ، فيقول الله عز وجل : **{ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**[21]**{**

فإذا عرفت من هو العزيز الرحيم الذي أهلك المكذبين المعرضين بعزه ونجى أنبياءه ومن آمن معهم برحمته ، حق عليك أن توقن التوكل على الله العزيز الرحيم .

قال الفضيل بن عياض : **وقفت امرأة العزيز حين مر يوسف عليه السلام بحاشيته بعد أن أصبح هو عزيز مصر فقالت : (الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته و جعل الملوك عبيدا بمعصيته).**
فكان يوسف عليه السلام من الرقيق والعبيد ثم دخل السجن لينجوا من الفاحشة فقال **(رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه)** فمكث في السجن بضع سنين ، فدفع حريته ثمن لنيل الطاعة والبعد عن المعصية ، ولم يرض بأن يخرج من السجن تكرمًا من الحاكم بل أمر بالرسول بأن يرجع إليه ويسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيدهن ، فخرج وهو عزيز النفس بطاعته وخرج ببراءته من الذنب .

[20] سورة الشعراء آية 190-191
[21] سورة الشعراء آية 217.

فالمعصية ذلة والطاعة رفعة وعزة .

ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام : **«لا ينبغِي للمؤمنِ أن يُذلّ نفسهُ» قالوا: وكيف يُذلّ نفسهُ؟ قال: «يتعرّضُ من البلاءِ لما لا يطيقُ**[22]**.»،**

أي : يتعرض لمواطن البلاء التي تغرر في نفسه فلا يستطيع كفها عنه .

إذا كيف نحقق هذه العزة ؟

وكيف نأتي بأسباب العزة ونكون أعزاء بالله ؟

- غرس العزة

لكي نغرس هذه العزة ونجعلها متأصلة في نفوسنا علينا معرفة الأمور التي تعكر صفو العزة فتتحول إلى مذلة ، فبالضد تتبين المحاسن .

فأول أسباب الذل هو الشرك والبدعة :

فحينما نبتعد عن المنهج الرباني المتقن ونتشعب في طرق تنحرف عن الطريق المستقيم نجد هذا الذل في كل خطوة ، فإذا نظرنا إلى معابد المجوس والهندوس أو أصحاب البدع والطوائف نجد الذل يصاحب مراسمهم من تبرك بالرجس أو إهانة العقل والفطرة السوية ، فهو ذل يلازم أهل الذل في الدنيا والأخرة ، فيقول الله عز وجل : **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ. [23]}**

ويقول الشاطبي رحمه الله : **(كل من ابتدع في دين الله فقد ذل (**

فشرع الله بعيد عن ذل الإنسان نفسه بل هي مواطن فرح واستشعار روحاني يلامس القلوب بانشراح .

[22] رواه الترمذي وقال: حسن غريب
[23] سورة الأعراف آية 152.

السبب الثاني للذل هو محاربة الله ورسوله :

فنرى صاحب هذه المحاربة يتخبط بين يدي الشيطان ، فيكون الناطق الرسمي باسم الشيطان، صاحبها متذبذب ذليل تعلوه المهانة .

فيقول الله عز وجل : **{ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ [24]{ .**

فالله سبحانه وتعالى كتب عليهم الذل في الدنيا والآخرة .

ثالثا: النفاق و الاعتزاز بغير الله.

كأن تنتسب لعشيرتك أو قبيلتك أو موهبتك أو شهرتك وتنسى خالقك الذي بيده كل شيء.

جاء في مسند الإمام أحمد : **«انتسَبَ رَجُلانِ مِن بَني إسرائيلَ على عَهدِ موسى عليه السَّلامُ، أحَدُهما: مُسلِمٌ، والآخَرُ: مُشركٌ، فانتسَبَ المُشركُ فقال: أنا فُلانُ بنُ فُلانٍ، حتى بَلَغَ تِسعةَ آباءٍ، ثُمَّ قال لصاحِبِه: انتسِبْ لا أُمَّ لك، قال: أنا فُلانُ بنُ فُلانٍ، وأنا بَريءٌ ممّا وراء ذلك، فنادى موسى النّاسَ فجَمَعَهم، ثُمَّ قال: قد قُضيَ بيْنَكما؛ أمّا الذي انتسَبَ إلى تِسعةِ آباءٍ، فأنت فوقَهم العاشرُ في النّارِ، وأمّا الذي انتسَبَ إلى أبَوَيه، فأنت امرُؤٌ مِن أهلِ الإسلامِ[25] «**

ويقول الله عز وجل على لسان المنافقين : **{ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ [26]{**

فيؤيد الله عز وجل هذه العزة ولكن بعكسها فيؤكد قوله **سبحانه (ولله العزة ولرسوله)**

---

[24] سورة المجادلة آية 20.
[25] رواه أحمد، وصححه الألباني.
[26] سورة المنافقون آية 8.

رابعًا : من أسباب الذلة استمراء المعاصي وتسويف التوبة .

فيطبع هذه المعاصي في حياته ويمزجها في حديثه كحديث عابر لا تنكره نفسه لأن هواه غلبه وأصبح عبدًا له ذليلا .

الحسن بن أبي الحسن البصري -رحمه الله- يذكر أهل المعاصي فيقول: **(إنهم وإن طقطقت بهم النعال أو البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعاصي لا يفارق رقابهم، أبى الله إلا أن يُذِل من عصاه(**

هملجت بهم البراذين أي : خيولهم يمشون فيها بموكب.

ودقدقت بهم البغال أي: أن الدنيا أمامهم كل شيء يُضرب أمامهم .

ووطئت أعقابه الرجال أي أن جميع الناس أمامهم ، و الناس تسلم عليهم كأنهم تحت أقدامهم .

ورغم هذا كله تجد ذل المعصية وهوانه في أعينهم وفي أرواحهم التي لا تبرح ولا تسكن لأن بسكونها تجد الضيق والكدر يصاحب أنفاسهم فيخنقهم.

خامسا : الكبر .

فيقول نبي الهدى عليه الصلاة والسلام : «**يُحشرُ المُتكبِّرون يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ**[27]«

فيصبحون كحجم النمل يطأهم الناس وتغشاهم المذلة والهوان .

[27] رواه الترمذي وحسّنه.

سادسًا : اتباع الهوى .

فقال الله عز وجل : **{ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ [28]}**

قال ابن تيمية رحمه الله : **(من قهره هواه ذل وهان وهلك وباد)**

فمن أسباب النجاح في الدنيا والآخرة كان أهم أسبابه أنه غلب هواه فلم يتبعه .

و لتأصيل هذه العزة في النفس نجمع هذه الأسباب التي ذكرت في الذل ثم نأتي بضدها فتتحول إلى أسباب عزة

أولا: الإيمان .

يقول الله جل جلاله : **{ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ [29]}**
فالعزة لا تكون إلا مع الله وبالله وباتباع نهجه والإيمان به .

ثانيا : التواضع .

فمن تواضع لله رفعه ، وقال الله عز وجل : **{ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ[30] }**
فهم لا يترفعون ويتعالون على المؤمنين ، بل يحترمون بعضهم فلا فرق بينهم إلا بالتقوى .

---

[28] سورة الجاثية آية 23.
[29] سورة المنافقون آية 8.
[30] سورة المائدة آية 54.

ثالثًا : العفو والصفح .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلّا عِزًّا**[31] **»،**
فأنت تعفو في الأرض فيرفعك الله في الدنيا والآخرة .

رابعًا :التقرب باسمه العزيز .

فهذا إبراهيم عليه السلام يدعو فيقول : **(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) .**

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا فرغ من نومه ليلا يقول : **«لا إلهَ إلّا اللهُ الواحدُ القهارُ، ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزُ الغفّارُ**[32] **»**

ولما جاءه رجل يشكو إليه وجعًا ، فارشده عليه الصلاة والسلام إلى أن يتعبد بعزة الله فقال عليه الصلاة والسلام : **«امسَحْهُ بيَمينِكَ سَبْعَ مرّاتٍ، وقُلْ: أعُوذُ بعِزَّةِ اللهِ وقدرتِهِ مِن شرِّ ما أجِدُ. قال: ففعَلْتُ ذلك، فأذهَب اللهُ عزَّ وجلَّ ما كان بي، فلم أزَلْ آمُرُ به أهلي وغيرَهم.**[33]**«**

وكان من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام :

»اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ الفقرِ، والقلَّةِ، والذِّلَّةِ، وأعوذُ بِكَ من أن أظلِمَ، أو أُظلَمَ.[34]**«**

خامسًا : موالاة الله ورسوله .

فالله ولي المؤمنين ، فإذا وليت الله عز وجل ووالیت رسوله ، كان الله وليك و حاميك .

[31] رواه مسلم.
[32] رواه ابن حبان، وصححه الألباني.
[33] رواه أبو داود وصححه الألباني
[34] رواه أبو داود، وصححه الألباني

سادسًا : مخالفة الهوى .

قال ابن القيم رحمه الله : **لكل عبد بداية ونهاية فمن كانت بدايته اتباع الهوى كانت نهايته الذل والحرمان والبلاء فتصبح في النهايه عذابه الذي يعذب به قلبه .**

فالمسجون من سجنه هواه والمأسور من أسره هواه ، فهواه قيده عن الإنجاز قيده عن البذل أنهك طاقته فلا يكاد يقوى على القيام لفعل الطاعات .

سابعًا : التذلل والانكسار للعزيز الجبار .

قال ابن القيم رحمه الله : **إن هذه الكسرة لها تأثير عجيب في المحبة لا يُعبر عنها .**

وقال بعض العارفين : **دخلت على الله من كل الأبواب فما دخلت من باب إلى وجدت عليه الزحام فلم أتمكن من الدخول حتى جئت من باب الذل والافتقار فإذا هو أقرب باب إليه وأوسعه .**
أي: أن التنافس في الطاعات مثل الصيام والصلاة والصدقة نجد عليها السباق الأكبر ونرى البعض يغفل عن أوسع هذه الأبواب وأقربها إليه وهو باب التذلل لله .

قال ابن رجب رحمه الله : **من أراد عزًا بلا سلطان وكثرة بلا عشيرة وغنى بلا مال فلينتقل من ذل المعصية إلى عز الطاعة .**

ثامنًا : التقوى .

فالتقوى مفتاح العز و الرزق فيقول الله جل جلاله **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا }**[35]

قال الحسن البصري رحمه الله في التقوى : **إذا أردت العزة فأعزَّ الله حيثما كنت يعزك الله حيثما كنت .**

[35] سورة الطلاق آية 2.

فالتقوى هي رأس العزة وهي مفتاح الشرف في ذلك .

والحمد لله رب العالمين ، وزادنا الله جميعا بالعلم المبين و تمسكًا بالنهج القويم

تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدّة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخل بروح المحاضرة ومعانيها